إضاءة

الأخذ بصدق الجيل السابق والتحرّر من أوهامه

في الحاجة إلى تقاليد فكرية

يبقى السؤال، لماذا فشلنا في تطوير تقاليد فكرية واكاديمية كفيلة بالمضي بالتفكير والإبداع الى آفاق جديدة وربطهما بالتحولات المعاصرة؟

رشيد بوطيب

سيعبّر لي مثقفٌ مغربي مشهور، ينتمي إلى صفوة الحداثة في الثقافة العربية، وفي كثير من المرارة، بأن الثقافة العربية تخلّصت من التقاليد ولكن دون أن تنجح في الالتحاق بالحداثة. لا أعرف إلى أي حد يمكن القبول بهذا التشخيص، ولكن لا يمكن في الآن نفسه أن نرفضه كلّية، وبعيداً عن هذه الثنائية الضارة والتي استوردناها في روح غير نقدية من السياق الغربي، وأعني بذلك ثنائية التقاليد/ الحداثة، والتي تفضّل أن التقاليد لا تموت في الحداثة، فإنّ المشكلة، برأيي، لا تكمن في العجز عن تحقيق تلك النقلة إلى الحداثة، كما لا تكمن في التشبّث من عدمه بالتقاليد، ولكن في عجزنا عن بناء تقاليد فكرية متماهية مع قضايا الناس الملحّة. فالإنجازات الفكرية في السياق العربي أقرب إلى الجزر المنعزلة، وقد يعتقد بعض مفكرينا بأنه لن تقوم له قائمة إلا إذا أقدم على تبخيس عمل الآخرين، بل وقد يبني جماع مشروعه الفكري على ذلك، كما قد يختلط الأمر على بعضهم، فيخلط بين التفكير والحملة الانتخابية، وهو يعتقد بأن المجال الثقافي العربي لا يتسع إلا لمفكّر واحد، لينقل بذلك أمراض الحزب الواحد إلى حقل الثقافة.

ولكن يظل السؤال الذي يتوجب أن نطرحه هو الآتي: لماذا فشلنا في تطوير تقاليد فكرية وأكاديمية كفيلة بالمضي بالتفكير والإبداع إلى آفاق جديدة وربطهما بالتحولات المعاصرة؟ هل لأن الاستبداد لا يسمح بنمو مثل هذه التقاليد؟ قد يكون ذلك صحيحاً إذا فهمنا الاستبداد باعتباره ثقافة، وثقافةً ترخي سدولها حتى على أولئك المثقفين الذين انبروا لنقده. أم أن للأمر علاقة بمؤسسة الجامعة في السياق العربي، والتي في انحسارها وأغترابها عمّا يحدث في العالم ظلّت عاجزة عن بناء تقاليد فكرية تخاطب وتحاور من خلالها العالم؟

يشعر كاتب هذه السطور بغير قليل من الحسد - والحسد قد يكون إيجابيا أيضاً إذا دفعنا لتجاوز نقائصنا - وهو ينظر إلى الجامعات الألمانية وقد انبرت كل جامعة للاعتناء بتراث فلسفي معين على امتداد أجيال كثيرة، حتى أصبحنا اليوم نلتقي بممثلين للتقليد الكانطي أو الهيغلي أو النيتشوي أو الفينومينولوجي أو الهيدغري أو للنظرية النقدية ومنافحين عن هذه التقاليد في مختلف أطراف العالم. ومؤخراً احتفت جامعات كثيرة في العالم بمرور 300 عام على ميلاد ايمانويل كانط، ومنها جامعة الحسن الثاني في المغرب والبيت العربي في برلين. ألم يكن بإمكاننا أن نقوم بشيء من قبيل ذلك في ما يتعلق بابن رشد أو حتى ابن عربي، أن نقراهما من خلال العالم وأسئلة الفكر المعاصرة؟ بل ألم يكن بإمكاننا، وحتى أذكر المغرب فقط، أن نطوّر الشخصانية الإسلامية، بشكل نتجاوز به الثقافوية الغربية التي تربط الإسلام بالإرهاب والتخلّف ومعها كل تلك الثنائيات التي تريد أن تخرجنا من العصر؟ أو أن نطوّر «النقد المزدوج» إلى إبتيقا للحوار مع الذات والآخر؟

إن قوة الفكر من قوة تقاليده، ولكن الأمر يتعلق بتقاليد حيّة، قابلة للتطوّر، هي هبة للحوار مع العالم، وغياب تلك التقاليد يضعف الفكر ويجعله يراوح كما كما الحال اليوم في السياق العربي بين التغريب والتقليدانية، في اغتراب عن واقع المجتمعات العربية.

يتحدث البعض اليوم عن فلسفة عربية معاصرة، مغفلاً أنه لا يمكن الحديث عن ذلك إذا لم نطوّر تقاليد فكرية تخاطب وتحاور العصر، فتأسيس مثل هذه الفلسفة ليس حدثاً اكاديمياً، أو نزوة فكرية، وليس امتيازاً أو حكراً لمؤسسة دون غيرها، ولكنه حدث نقدي، والتزام بالتفكير الجدّي في واقع المجتمعات العربية. ويبعث، لا ريب، على الشفقة ذلك الذي يطلب تأسيس حقل للفلسفة العربية المعاصرة، أي لشيء غير موجود، ويبين عن جهل وهو يخلط بين تدريس الفلسفة الغربية في الجامعات العربية وبين ما يسميه الفلسفة العربية المعاصرة، أو وهو يخلط بين الفلسفة والخطاب الأيديولوجي عموماً. والأغرب من كل ذلك أن هؤلاء الذين يتحدثون عن الفلسفة العربية المعاصرة يتحدثون عن كلّ شيء، إلا عن ضرورة ربط هذه الفلسفة عُضوياً بالعلوم الاجتماعية، حتى لا ترتبط، وليس كما يريدون، بقضايا ثقافوية زائفة مثل الأصولية الدينية.

لا غرو أن سيطرة الأيديولوجيا على الفكر العربي المعاصر وتبعية الثقافي للسياسي والحزبي كانت سبباً رئيسياً حال دون بناء تقاليد فكرية حقيقية. ولهذا السبب، يتوجب علينا اليوم أن نميّز بين ما هو نقدي عند الجيل السابق وما هو أيديولوجي، أي بين ما نستطيع أن نستثمره في معركة الوعي وصراعات الحاضر وما يتوجب أن نتركه يتلاشى بل وأن نساعده على ذلك. فوفقاً لهذا المنطق البراغماتي، الذي يميز بين النقد والأيديولوجيا، يمكننا أن نتعامل مع الجيل الذي سبقنا ومنجزه الفكري، لقد أورثنا ذلك الجيل الكثير من الصخب الأيديولوجي وغير قليل من النقد ولربما كان أكثر صدقاً منّا في مواجهة الاستعمار وتبعاته، وفي الالتزام بالقضايا العربية، ولربما لذلك كانت أوهامه كبيرة، فيتوجب أن نأخذ بصدقه، ونتحرّر من أوهامه.

(كاتب وأستاذ فلسفة من المغرب)

> عجز عن بناء تقاليد فكرية متماهية مع قضايا الناس الملحّة
>
> تطوير «النقد المزدوج» إلى إبتيقا للحوار مع الذات والآخر

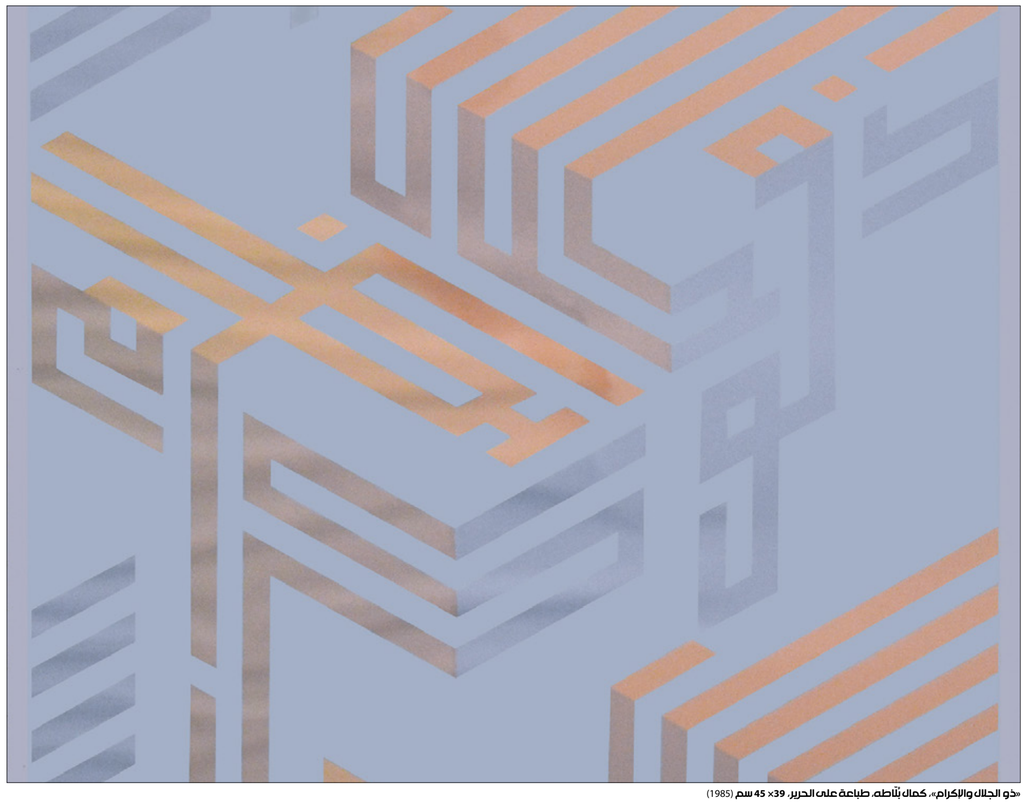

«ذو الجلال والإكرام»، كمال بُلاطه، طباعة على الحرير، 39× 45 سم (1985)

شعر

حين تتفتّح الصور مثل هذه الزهور

نشيد غزّة وقصائد أُخرى

ستاماتيس بوليناكيس

نشيد ورثاء لمدينة غزّة

يا ربُّ، ألقِ عليَّ الجنون
والنارَ التي تهطل من السماء. دع
أمّهاتِ الأنقاضِ الجرّيدات يعشنّ؛ دع
الرُّضّعَ المرضى المُرقّشين
بالدموع يعيشون. أدرْ عليَّ سكين
القتلة العمياء، يا ربّ. الموتَ يهطل
من السماء. خلّص يا ربّ نساءَ الأنقاض
الحزينات؛ خلّص أطفالنا المرضى المُرقّشين بالدموع.
الموتَ يهطل
من السماء. أبدُني إلى الأبد يا ربّ، عوّض
أولئك الذين يجب أن يبقوا للغد أيضاً. هأنذا هنا
أفتح صدري عوض إسحق البريء.

صلاة من أجل نورا

لا وجود لنا، أظنّ، إلّا خلال لحظات نادرة
حين نُعيد خلق العالم من البداية،
حين تتفتّح العيون والصور مثل هذه
الزهور الزائلة الرقيقة في الضوء

آه، لا تُفتحنَّ الأبواب مرّة أخرى،
لا تُسمعنَّ ثانية أبداً خطواتُ الزمن الأعمى
خارج هذه الغرفة، لا تبقينّ فارغةً أبداً هذه الأيادي
التي تقدّم الخبز والخمر والوعد بالأبديّة

لا تنقطعنَّ أبداً الخيوط اللامرئيّة.

تنوّ

اللحظة التي تخشاها
ستأتي
حينما دويّ عظيم
سيُسمع
من طرف الدنيا
والحشود سترتقي
السلالم
مختنقة بالدخان.

الشعر لا يكفي

يا سادة، لا تدعوا أحداً يخدعكم
ولا شيء.
لم نفلس اليوم، لقد
أفلسنا منذ سنوات كثيرة.
اليوم بات كلّ واحد يقدر بسهولة
أن يسير على الموج،
القنّاني تُرمى فارغة في الماء
بلا أن تحمل رسائل مخبّأة
الحوريّات لا تغنّي ولا
تصمت، بل تبقى فقط هامدة
مذهولة من خصخصة
المياه ولا
الشعر لا يكفي ما دام البحر قد امتلأ
نفايات وواقيات ذكرية
وليكتب من السونيتات ما شاء عن «فالیرو»
لورينتزوس مافيليس.

ولادة اوذيسياس

امتعة أخرى ليس لي سوى
هذه التي وُلِدتُ بها.
هكذا وصلت ذات ليلة إلى العالم
حاملاً على كتفيّ
حملي المبهم.
ساظلّ أذكر الاختناق
والظلام ورعدة الولادة
داخل قطار كان يُسافر إلى المجهول.
أنا الذي لم يحبّ أيّ إنسان،
أحببت فقط النجوم الكبيرة المستعدّة للموت
والكواكب البعيدة التي تحترق.
جئنت بحبّ فتاة فقيرة مريضة؛
سمعتها ليلة تغنّي
تحت شبّاكي قبل
أن تنطفئ إلى الأبد
وكان اسمها شولوميت، وكان شعرها
من رماد.

(ترجمة عن اليونانية: روني بو سابا)

بطاقة

شاعر وكاتب مسرحيّ يونانيّ، ولد في أثينا عام 1970. درس الأدب الإسبانيّ في مدريد وترجم إلى الإسبانية العديد من المسرحيات الكلاسيكية الإغريقية. صدرت له سبعة دواوين شعريّة. حاز على الجائزة الوطنيّة للشعر في بلاده.

ستاماتيس بوليناكيس

إطلالة

البحث عن يوتوبيا

ممدوح عزام

من المصادفات اللافتة، في تاريخ الرواية، خاصة في القرنين التاسع عشر والعشرين، أن يتزامن صدور روايات ذات توجّه يوتوبي، وأخرى مضادة، ذات توجه ديستوبي. اللافت أن كلا النوعين يكادان يتلاقيان في مركز وحيد هو الانفراد بالسلطة، من جهة، والرغبة في السيطرة على الحياة العامة من حيث التوجيهات. أمّا اليوتوبيا فإنّها تختلق عالماً وهميّاً جميلاً، إنّها تمثيلٌ للحلم البشري الذي طال كثيراً، ولم يتحقّق في أي وقت، وهي تبني في الغالب ذلك العالم العادل الذي تتخيّله منظّماً أشدّ التنظيم، تحكمه قوة خيّرة، ولكن لا تسمح بأيّ تجاوزات، وتُعمّم على البشر شكلاً واحدا للحياة، يمنع، أو يمتنع على التغيير والتنوع.

وفي الديستوبيا أيضاً يُجبر الجميع على تبنّي شعار واحد، ولغة واحدة، وتصوّر وحيد للحياة، وشكل للحكم لا يتغيّر أيضاً، دون الاهتمام بحياة الناس من حيث الرفاه والحرية.

هل تُكتب الديستوبيا لأن العالم عاجز عن الوصول إلى الحلم بمجتمع عادل وحرٍّ وإنساني؟ هل تصف الحال الذي يعيشه الناس، أم تحذر منه؟ ثمّة المئات من الروايات الديستوبيّة التي وصفت البشاعة والتوحّش اللذين ينحدر إليهما طاقم من البشر الذي يمتلكون القوة للحكم، قوة العضلات أو قوة المال أو قوة السلطة.

لا ينشغل الكتّاب العرب بالرواية اليوتوبية؟ الراجح أنّ التفكير في المستقبل؛ وهو شغل الرواية اليوتوبية الشاغل، ناجم عن الأمل الذي يمكن أن يقدّمه التقدّم في جميع المجالات، أي أنها تُؤمن بإمكانات البشر، وثمّة من قال إنّ اليوتوبيا مُلحدة تقريباً، أي أنّها تُحيل جهد التغيير على البشر وحدهم، وربما كان هذا هو السبب الذي منح رواية لكاتب أميركي اسمه إدوارد بيلامي شعبيّة هائلة في أميركا، ونوقشت في جميع الأوساط، ومن بين المعجبين بها جاك لندن، وإبتون سنكلير، وأطلق عليها مارك توين «أحدث وأفضل الأناجيل». كما أن تشيخوف وغوركي وتولستوي أشادوا بها.

تغلق المجتمعات المتخلّفة، أو المحكومة بالاستبداد الأفق أمام البشر، وبالتالي أمام التعبير الأدبي والفني. وقد يكون هذا الاستنتاج، إذا كان دقيقاً، أحد الأسباب التي تمنع الكاتب العربي من كتابة رواية يوتوبية. فالأمل، والحلم بالتغيير، أو تصوّر المدينة الفاضلة، كما سميت في التاريخ الأدبي العربي، تبدو خارج المخيّلة الروائية العربية، بسبب تراكم الأسباب التي تمنع هذا الحلم من التحقّق، حتى في الأحلام أو الأوهام. وهو مؤشر، في الوقت نفسه، على رداءة الوضع العربي، الذي لم يسمح، بقوة الطرد الداخلية في تكوينه، حتى اليوم، للأدب أن يُنجز هذه المهمة الخيالية التي يمكن أن تكسر الوضع العاجز بين دفتي كتاب على الأقل. اللافت أنّ معظم الأعمال اليوتوبية قد اختفت من التداول، بل إنّ عمل بيلامي، الذي يقول عنه دوريان لينسكي إنه أحد أكثر الكتب المؤثّرة في تاريخ الأدب، غير معروف اليوم، بينما لا تزال البشرية قاطبة، تحتفي بكتاب أورويل «1984».

ومن الصعب أن نقبل نظرية لينسكي نفسه، الذي يقول «إنّ رواية بيلامي سياسة تتخفّى في هيئة أدبية». والراجح هو أن أكثر ما يشغل البشر إنّما هو عالم القهر والظلم والاعتداء على الحرية، الذي تجسّده رواية الديستوبيا.

(روائي من سورية)

كاتب من العالم

مع سعدي الشيرازي وجليل شهناز في أي مكان

عادل بيابانكرد جوان

تقف هذه الزاوية مع كاتب من العالم في أسئلة سريعة حول انشغالاته الإبداعية وجديد إنتاجه وبعض ما يودّ مشاطرته مع القارئ العربي

كاليفورنيا ـ العربي الجديد

■ ما الهاجس الذي يشغلك هذه الأيام في ظل ما يجري من عدوان إبادة على غزّة؟

قبل كلّ شيء أفكّر في الأطفال الذين يعيشون في جحيم الحرب على غزّة. يؤلمني موت الأطفال وكل طفل يُقتل يجعل العالم مكاناً لا يطاق.

■ كيف تقدّم المشهد الأدبي والثقافي في بلدك لقارئ لا يعرفه؟

نحن نعيش في عصر حدثت فيه ثورة في مجال الكتابة بسبب الفضاء الإلكتروني. في الماضي كان عدد قليل من الناس يستطيعون القراءة. ومع ظهور التعليم الحديث حدثت ثورة في القراءة وأصبحت القراءة عالمية، ومع التطوّر الذي أحدثه الفضاء الإلكتروني، أصبحت الكتابة عالمية أيضاً، فصرنا أمام إنتاجات ضخمة في مجال الأدب. ومع ظهور إمكانيات النشر الجديدة أصبحت طباعة الكتب سهلة جداً. في الماضي البعيد كنا نعرف معظم الكتّاب الجيّدين، لكن اليوم لم نعد كذلك.

■ كيف تُقدّم عملك لقارئ جديد، وبأيّ كتاب لك تنصحه أن يبدأ؟

لست شخصاً غزير الإنتاج، وخلال ما يقرب أربعين عاماً من كتابة الشعر لدي ثلاث مجموعات منشورة، وديوان لم يُنشر بعد. كلّ كتاب من كتبي قد يفتح باباً للقارئ.

■ ما السؤال الذي يشغلك هذه الأيام؟

كيف يمكننا استعادة السلام الداخلي في هذا العالم المضطرب الذي يمطرنا دائماً بالأخبار السيّئة؟

■ ما هو أكثر ما تُحبّه في الثقافة التي تنتمي إليها، وما هو أكثر ما تتمنّى تغييره فيها؟

اللغة والأدب والموسيقى والفن والتقاليد هي خيوط قوية تربطني بجذوري. عندما أغنّي غزلاً لسعدي الشيرازي أو أسمع صوت وتر جليل شهناز في أي مكان من العالم أشعر بأنني في مسقط رأسي إيران.

■ لو قيض لك البدء من جديد، أي مسار كنت ستختار؟

إذا بدأتُ من جديد سأصبح شاعراً مرّة أخرى، بالنسبة لي الإنشاد يشبه التسبيح المستمر. قد لا تولد منه قصيدة، لكنه يُنير يومي.

■ ما هو التغيير الذي تنتظره أو تريده في العالم؟

أتمنى أن يتحرّك عالمنا نحو الصداقة والسلام.

■ شخصية من الماضي تود لقاءها، ولماذا هي بالذات؟

سعدي الشيرازي هو الشخص الذي أودّ أن ألقاه. سعدي شخصية بارزة جداً في مجال الأدب، سواء من حيث شخصيّته أو من حيث موقفه تجاه المجتمع، أو حتى من حيث روح الفكاهة.

■ ما هو، في اعتقادك، أكبر خطر على حرّية الكاتب والكتابة في العالم اليوم؟

الرقابة.

■ ما هي قضيّتك، وهل يمكن أن تكون الكتابة قضية بذاتها؟

الكتابة قبل كل شيء هي تحرّر ونوع من التفاعل مع الذات والعالم. وفي المرحلة الأخيرة تصبح مشاركتها مع القارئ أمراً مهماً.

■ الأدب العالمي يكتبه المترجمون، إلى أي درجة توافق على هذه المقولة، وإلى أي درجة كتبك المترجمون؟

للمترجمين دورٌ مهمّ في نشر الثقافة والأدب. في بعض اللغات، مثل الفارسية، يكون دور المترجم ضرورياً جداً، ويمكن القول إنه دون مترجم لن يكون انتقالنا إلى عالم جديد ممكناً.

■ كيف تصف علاقتك مع اللغة التي تكتب بها؟

اللغة للشاعر ليست مجرّد أداة توصيل، بل هي البيت الذي يسكن فيه. وعندما يهاجر الشاعر إلى بلد غير لغته الأم، كأنه بنى بيته على طريق الفيضان.

■ كاتب منسيّ من لغتك تودّ أن يقرأه العالم؟

أعتقد أن هناك الكثير من الكتّاب المنسيين، لأنّ أدبنا لا يُقدَّم كما ينبغي.

■ لو بقي إنتاجك بعد ألف سنة، كيف تحبّ أن تكون صورتك عند قرّائك؟

لستُ قلقاً بشأن صورتي.

■ كلمة صغيرة شخصية لقارئ عربي يقرأ أعمالك اليوم؟

لدينا الكثير من القواسم المشتركة، أتمنى أن يكون الدخول إلى أعمالي غير عسير على القرّاء العرب.

عادل بيابانكرد جوان

بطاقة

شاعر إيراني من مواليد ميناء انزلي (شمال إيران)، عام 1968، له في الشعر: «وراء هذا الصوت الجديد» و«أسماؤنا ضائعة في الهواء»، و«شراع صغير».

فعاليات

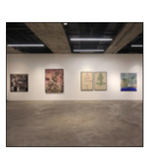

ضمن فعاليات «تفاكر للثقافة» في مدينة كولن الالمانية، ينظم «منتدى تفاكر للحوار والثقافة»، عند السادسة والنصف من مساء غد السبت، ندوة حوارية مع الفنان والشاعر **سميح شقير** حول ديوانه **ليس إلّا** (مؤسسة ميسلون/ 2024). يحاور الفنان **نهى سلوم**، و تتناول تجربته والعلاقة بين الشعر والموسيقى.

حدود: إعادة التفكير بالحدود عنوان المعرض الذي افتتح في «مدرسة الدراسات الشرقية والافريقية» (SOAS) بجامعة لندن، في الحادي عشر من الشهر الماضي ويتواصل حتى الحادي والعشرين من الشهر المقبل. يضمّ المعرض اعمالا لعدد من الفنانين العرب، منهم: **كمال بُلّاطه** و**ليلى الشوا** و**رشيد قريشي** و**لطيف العاني** و**محمد عبلة** و**منى حاطوم** و**تيسير البطنيجي**.

حتى الثامن والعشرين من الشهر الجاري، يستضيف «خاليري صالح بركات» ببيروت معرض **نسمة الصيف** بمشاركة اكثر من 30 فناناً لبنانياً. يقدّم المعرض لمحة عن التنوّع والتشابه بين الفنانين، ويسلط الضوء على تفاعلات الالوان. من بين الفنانين المشاركين: **محمد الروّاس** و**اسامة بعلبكي** و**بسام قهوجي** و**شوقي يوسف**.

بين الساعة الثالثة والخامسة من ظهيرة يوم غد السبت، يستضيف «المتحف العربي للفن الحديث» بالدوحة ورشة **الوسائط المختلطة مع القماش** للاطفال ما فوق عمر الـ 15 عاما. تهدف الورشة إلى تعليم المشاركين تقنيات جديدة حول النسجة واستكشاف انواع القماش المختلفة وصناعة قطع قماشية باحدث الاساليب.